دليل ندوات دار الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله

الناشر
العتبة العباسية المقدسة /دار الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله

المتابعة و التنفيذ
رضوان عبد الهادي السلامي

الادارة االفنية
م.م.ياسين خضير الجنابي

التحرير الطباعي
حسن علي عبداللطيف المرسومي
عقيل مسلم الخزاعي

التدقيق اللغوي
أ.د.شعلان عبدعلي سلطان
أ.م.د. أحمد حسن الغانمي

التصميم
أحمد نعمة الخفاجي
حسام محمد السعدي

الإدارة الالكترونية
م.م. محمد جاسم الخفاجي

العتبة العباسية المقدسة. دار الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، مؤلف.
دليل ندوات دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.- الطبعة الأولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، دار الرسول الاعظم، 1444 هـ. = 2023.
78 صفحة : إيضاحيات ؛ 24 سم
1. محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نبي الاسلام، 53 قبل الهجرة-11 هجري--سيرة--مؤتمرات. 2. السيرة النبوية (الشيعة). الف. العنوان.

LCC : BP 75.3 .A8396 2024

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

الفهرسة اثناء النشر

الترقيم الدولي المعياري للكتاب
978-9922-680-76-7

في البدء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد بن عبد الله وآله آل الله . اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله ، وَاجْعَلْ صَلَواتكَ وَصَلَوات مَلائكَتكَ ، وَأَنْبيائكَ وَالمُرْسَلينَ وَعبادكَ الصَّالحينَ ، وَأَهْل السَّماوات وَالأَرَضينَ ، وَمَنْ سَبَّحَ لَكَ يا رَبِّ العالَمينَ منَ الأولينَ وَالآخرينَ ، عَلى مُحَمَّد عَبْدكَ وَرَسُولكَ ، وَنَبيِّكَ وَأَمينكَ وَنَجيبكَ وَحَبيبكَ ، وَصَفيِّكَ وَصَفْوَتكَ ، وَخاصَّتكَ وَخالَصَتكَ ، وَخيرَتكَ منْ خَلْقكَ ، وأَعْطه الفَضْلَ وَالفَضيلَةَ وَالوَسيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الرَّفيعَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقاما مَحْمُوداً يَغْبطُهُ بهِ الأَوَّلُونَ وَالآخرونَ.

في هذا الكراس توثّق دار الرسول الأعظم ﷺ للقارئ الكريم الندوات الفصلية الأربعة التي عقدتها هذا العام ٢٠٢٣ م ضمن فعاليات ملتقى السيرة ، الذي حرصت فيه الدار على طرح الأفكار المختلفة والمتنوعة مازجة بين الجهد الاكاديمي والحوزوي في هذا المجال ؛ إيمانًا منها بأن هذا الحراك العلمي خطوة مهمة في تعزيز البحث العلمي في السيرة النبوية

المباركة ، ولفت انتباه الباحثين وتحفيز الهمم لفتح ملفات السيرة النبوية المتعددة والمتشعبة .

وكان فحص النظر الاستشراقي للسيرة المباركة له حصة وافرة في هذا الملتقى لما تضمه مصنفات المستشرقين من آراء متباينة بين إجحاف وإنصاف وتأييد وتفنيد وتحليل وتشويه ،قد أثرت في تشكيل رؤية العقل الغربي وتحديد موقفه تجاه الإسلام ، وقد عقدنا ندوتين لذلك . في حين استحوذ المنهج العلمي في كتابة السيرة على الندوتين الاخريين من ملتقى هذا العام ؛ لنقدّم للقارئ صورة عن ملامح البحث العلمي في السيرة ، وأهم الإشكاليات التي تقف حجر عثرة في طريق البحث فيها .

نرجو أن نكون قد وفِقنا في وضع لبنة في الاتجاه الصحيح للبحث في السيرة النبوية ، وأن نلفت اهتمام الباحثين والمهتمين لتقديم ما هو نافع ومفيد. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

الندوة الأولى

المستشرق الإيطالي ماسيمو كامبانيني

قراءة في فكره ومشروعه(كتاب محمد(ﷺ)
رسول الإسلام ورسالته أنموذجا)

المحاضر:
أ.د.عقيل محمد المرعي

ادارة الندوة:
أ.د.ليث قابل عبيد الوائلي

عقدت الندوة يوم السبت
الموافق 2023/5/6م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحضور الكريم، السلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته، بادئ ذي بدء -وهذا أقل من الواجب- أتوجه بالشكر إلى العتبة العباسية التي وجّهتْ إليّ هذه الدعوة من خلال دار الرسول الأعظم ﷺ؛ ولهذا ينبغي عليّ أولا أن أشكر السّيد أحمد الصّافي المتولّي الشرعيّ للعتبة العباسية المقدسة التي من خلالها حظيتُ بشرفِ أن أكون بينكم. كما أتوجّه بالشكر والتقدير إلى السيد عقيل الياسريّ المكلّف بقسم الشؤون الفكريّة والثقافيّة المشرف على الدار؛ لموافقته ومنحه الإذن للدار لاستضافتي. وكذلك أتوجّه إلى دار الرسول الأعظم ﷺ بجميع أعضائها وأفرادها، بدءًا بالأستاذ الدكتور عادل نذير الذي كان متابعا للموضوع، وللدكتور أحمد الغانميّ الذي تابع كلّ الإجراءات التي سهّلت وجودي هنا.

وعليّ كذلك أن أشكر العراق من أقصاه إلى أقصاه، فهذه أول زيارة لي للعراق، فأنا الذي وُلدتُ ونشأتُ على الفرات؛ فلهذا عندما آتي إلى العراق فأنا آتي إلى بلدي الثاني.

وقبل الشروع بالحديث عن المستشرق ماسيمو كامبانيني أجد من الضروري أن لا أقتصر على الحديث عنه، على الرغم من مكانته وجهوده وكلّ ما قدّمه لخدمة الإسلام والدراسات الإسلامية، بل لا بدَّ من التعرض إلى السياق الثقافي الذي نشأ فيه الاستشراق الإيطالي. وهنا أود أن أشير إلى مقولة الدكتور فؤاد سزكين التي قال فيها: (لا ينبغي أن ننتظر من المستشرقين ما ننتظره من أنفسنا)، فهم في النهاية أبناء عقيدة أخرى وثقافة أخرى، ولكن ماسيمو كامبانيني كان من بين الناس الذين سعوا والذين أسهموا في إظهار

الجانب الإيجابي للدين الإسلاميّ؛ ولهذا يتوجّب عليّ أن أعطي لمحة عن تاريخ الاستشراق في إيطاليا، فهذا يعطي صورة عن السياق الثقافي والعلمي والمعرفي الذي نشأ فيه البروفيسور كامبانيني.

إنّ أول نصّ وأول حروف طُبعتْ باللغة العربية –بحسب ما توصّلنا إليه– كانت في إيطاليا في البندقية، طباعة حقيقية وليست بشكل خطّيّ. ولدينا هذا الكتاب، وهو كتاب لا علاقة له بالعقيدة ولا بالدين:

حيث نجد هذه الكلمات: (مجد الله)، (أم المحبة)، (مجد الدنيا)، وهذه العبارات الثلاث مكتوبة بالعربية والعبرية والإغريقية واللاتينية، فهذا أول نصّ مطبوع باللغة العربية في البندقية سنة ١٤٩٩م.

بعد ذلك نجد نصًّا آخر طُبع باللغة العربية، وهو (كتاب صلاة السواعي)، الذي هو كتاب أذكار مسيحيّ، وقد طُبع سنة ١٥١٤م، وهذه نسخة عنه:

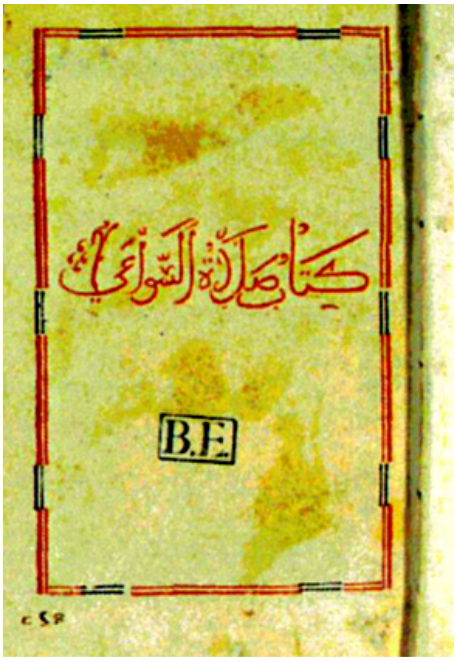

وبعد ذلك يمكن تسجيل أهم حدث في الاستعراب الإيطالي، وهو طباعة أول نسخة من القرآن الكريم طباعة على آلة طابعة، وليس نصًّا خطّيًّا، وقد كان ذلك في مدينة البندقية سنة ١٥٣٧م، وهذه النسخة -مع الأسف- كانت شبه مفقودة، ولكن لحسن الحظ يبدو أنهم قد عثروا على نسخة منها في أحد الأديرة القريبة من البندقية:

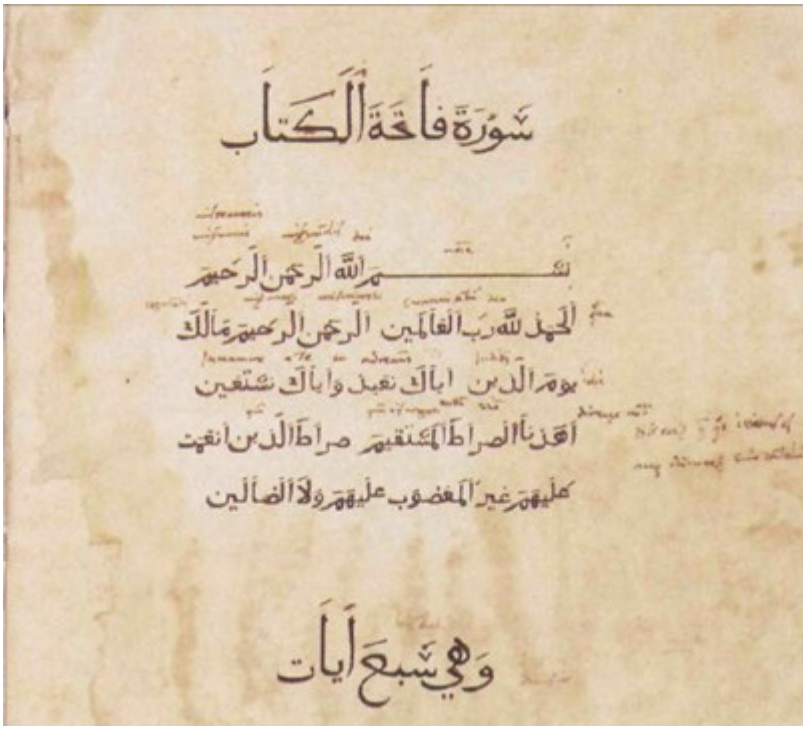

وهذه النسخة قد أُتلفت في زمن طباعتها؛ ولعلّ أهم الأسباب التي أُتلفت من أجلها لم تكن عقائدية، وإنما سوء الطباعة وعدم تقبّل المسلمين لهذه النسخة، فهم قد اعتادوا على رؤية المصحف مكتوبًا بأيدي كبار الخطّاطين وبأبهى أنواع الخطوط، ويبدو أن الذي طبعها كان تاجرًا غرضه بيعها في بلاد المسلمين، فالهدف الأساس كان ربحيًّا، ويقال: إن في هذه النسخة بعض الأخطاء، ولكن لم يكن هذا هو السبب في عزوف الناس عنها.

بعد ذلك وتحديدًا سنة ١٥٤٧م، ظهرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى لغة من اللغات اللاتينية الحديثة، وهي اللغة التوسكانية (لغة دانتي أليغيري Dante Alighieri) التي ستصبح فيما بعد اللغة الإيطالية:

L'ALCORANO
DI MACOMETTO,
NELQVAL SI CONTIE
NE LA DOTTRINA,
LA VITA, I CO-
STVMI, ET LE
LEGGI SVE.
Tradotto nuouamente dall'Arabo
in lingua Italiana.
Con Gratie, e Priuilegii.
M D XLVII.

وقبل أن نصل إلى القرن العشرين، نقول: إن الاستشراق الإيطالي – على وجه الخصوص- كان في بداياته له غرض تبشيريّ؛ وذلك بحكم وجود حاضرة الفاتيكان في إيطاليا، بخلاف الاستشراق الفرنسي –مثلاً- الذي كان يحمل غايات استعمارية.

وإذا ما وصلنا إلى القرن العشرين وجدنا أن هذا القرن يعدّ العصر الذهبي للاستعراب الإيطالي؛ وذلك للدعم الذي أولته الفاشّيّة لدراسة لغات المستعمرات وثقافاتها. فالحقبة بين كارلو نَلِّينُو **Carlo Nallino** وفرانتشيسكو غابريلي **Francesco Gabrieli** كانت العصر الذهبي للدراسات الاستشراقية الإيطالية، إذ نشر نَلِّينُو أول دراسة له عن القرآن الكريم سنة ١٨٩٦م. أما غابريلي فقد توفي سنة ١٩٩٦م، بعد أن أصبح رئيسا للأكاديمية الإيطالية «لينتشيي».

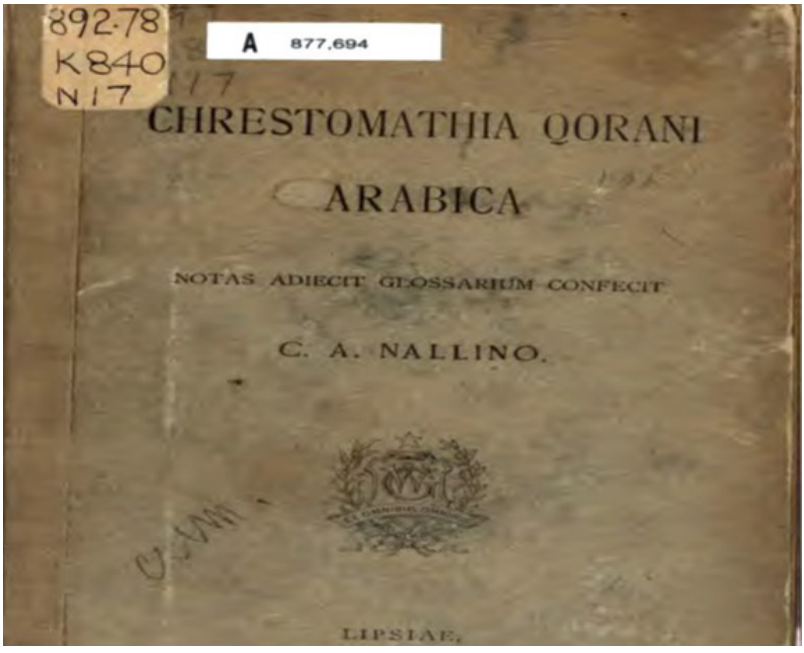

وقد توزعت مجالات الاستشراق الإيطالي –في هذا القرن– على ثلاثة محاور رئيسة، ومحور رابع هامشي:

المحور الأول: الدراسات الفيلولوجية والأدبية.

المحور الثاني: الدراسات التاريخية.

المحور الثالث: الدراسات الإسلامية (الفقه والتصوف).

المحور الرابع: الدراسات الفلسفية.

فالمحور الأول، محور الدراسات الفيلولوجية والأدبية برز فيه الأعلام:

- كارلو ألفونسو نَلِّينُو **Carlo Alfonso Nallino** (تورينو ١٨٧٢ – روما ١٩٣٨): قام بالتدريس في معهد الدراسات الشرقية بنابولي وفي جامعة باليرمو، ثم في جامعة فؤاد الأول في القاهرة قبل أن يعود إلى روما ليدرس في جامعة روما «لا سابينزا» حيث أسس معهد الشرق **IPO** عام ١٩٢١.

- إنياتسو غويدي **Ignazio Guidi** (روما ١٨٤٤ – روما ١٩٣٥): كتب عن «فقه اللغات العربية الجنوبية» وعن «العلاقة بين النحو العربي والنحو اليوناني».

- إتوري روسّي **Ettore Rossi**(سيكونياغو ١٨٩٤ – روما ١٩٥٥): سافر إلى اليمن بتكليف من الحكومة الإيطالية، مما سمح له بتأليف كتاب «العربية كما يتكلم بها في صنعاء: نحو، نصوص، مفردات» عام ١٩٣٩.

- لاورا فيتشا فاليريLaura Veccia Vaglieri (١٨٩٣ - روما ١٩٨٩): اهتمت بدراسات اللغة والنحو والصرف، وبعض الدراسات التي تناولت لغات المستعمرات الليبية لوضعها في خدمة الفاشية.

- ماريا نَلِّينُو Maria Nallino (باليرمو ١٩٠٨ – روما ١٩٧٩): ابنة المستشرق الكبير كارلو نَلِّينُو. اهتمت بدراسة الشعر الجاهلي وترجمته. اختارت موضوعًا لرسالتها: «النابغة الجعدي وشعره».

- باولو منغَنتي Paolo Minganti (روما ١٩٢٩ – روما ١٩٧٨): قام بتدريس اللغة العربية وآدابها في جامعة روما «لا سابينزا».

أما المحور الثاني، محور الدراسات التاريخية فأبرز أعلامه:

- ميكيلي أماري Michele Amari (باليرمو ١٨٠٦ - فلورنسا ١٨٨٩): أهم أعماله كتابه «تاريخ المسلمين في صقلية» عام ١٨٥٤، الذي ترجم إلى العديد من اللغات بما فيها اللغة العربية من قبل مجموعة من الباحثين المصريين عام ٢٠٠٤.

- ليوني كايتاني Leone Caetani (روما ١٨٦٩ – فانكوفر ١٩٣٥): ألف «حوليات الإسلام» في عشرة مجلدات، تناول فيها تاريخ الإسلام حتى نهاية العصر الراشدي.

- مارتينو ماريو مورينو

- Martino Mario Moreno (تورينو ١٨٩٢ – روما ١٩٦٤): صاحب كتاب «المسلمون في صقلية».

- بيانكا ماريا سكارتشا أموريتي (١٩٣٨ - ٢٠٢٠): كتابها خمسة عشر قرنا من تاريخ الإسلام، وتفسيرها لبعض أجزاء من القرآن.

- ميكيلانجلو غويدي **Michelangelo Guidi** (روما ١٨٨٦ - روما ١٩٤٦): بحوثه عمّا سماه «التيارات الشاذة في الإسلام»، وعنى بها الخوارج، واهتم «بالعروبة» بصفتها المكون الأساسي للحضارة الإسلامية.

- جورجو ليفي ديلّا فيدا **Giorgio Levi Della Vida** (البندُقية ١٨٨٦ – روما ١٩٦٧): له العديد من الكتابات في دائرة المعارف الإسلامية حيث كتب المادة المتعلقة بالإمام علي بن أبي طالب.

وفي المحور الثالث: الدراسات الإسلامية (الفقه والتصوف)، يمكن تسجيل أهم الأعلام، وهم:

- دافيد سانتلانا **David Santillana** (تونس ١٨٥٥ – روما ١٩٣١): ألف «موسوعة الفقه المالكي مع مقارنته بالفقه الشافعي».

- لويجي بونيلّي **Luigi Bonelli** (بريشّا ١٨٦٥ – نابولي ١٩٤٧): ترجمته للقرآن الكريم عام ١٩٢٩.

- أنطونيو داميليا **Antonio d'Emilia** (روما ١٩٠٨ - روما ١٩٦٨): كتب في القانون الإسلامي مع مقارنته بالقانون البيزنطي.

- أومبرتو ريتستانو **Umberto Rizzitano** (الإسكندرية ١٩١٣ – باليرمو ١٩٨٠ م): هو وريث أماري حيث كتب هو أيضًا عن تاريخ

المسلمين في إيطاليا؛ كما نقل إلى الإيطالية كتاب «الأيام» لطه حسين و«زينب» لمحمد حسنين هيكل وغيرهم.

- فرانشيسكو غابريلي **Francesco Gabrieli** (روما ١٩٠٤ – روما ١٩٩٦): عمل مديرًا لمعهد الدراسات الإسلامية في جامعة روما «لا سابينزا». أصدر العديد من الكتب المتعلقة بالحضارة العربية والإسلامية باللغة الإيطالية من بينها: خلافة هشام (١٩٣٥)، التاريخ والحضارة الإسلامية (١٩٤٧).

- أليساندرو باوزاني **Alessandro Bausani** (روما ١٩٢١ – روما ١٩٨٨): ترجمته للقرآن الكريم عام ١٩٥٥.

- فرانشيسكو كاسترو **Francesco Castro** (روما ١٩٣٦ – روما ٢٠٠٦): كتب «القانون الإسلامي» على غرار القانون الروماني، و«النموذج الإسلامي».

وأما المحور الأخير (الدراسات الفلسفية) فقد برز فيه المستشرق ماسيمو كامبانيني **Massimo Campanini** (ميلانو ١٩٥٤ – ٢٠٢٠)، الذي كان لديه كتابه «مدخل إلى الفلسفة الإسلامية»، ومؤلفاته القيمة عن ابن رشد والغزالي والفارابي، وترجمته لأهم أعمالهم ترجمة مصحوبة بتعليقات ودراسات مقارنة. وكتابه المتميز عن النبي محمدﷺ رسول الإسلام. وهذه صور له:

الإيطالي بشكل متقن جدًا، ودقيق جدًا، وواضح جدًا. وكذلك ترجم كثيرا من النصوص التي هي ذات علاقة بالفلسفة الإسلامية، ولكنْ من أهم كتبه كتابان مهمّان جدًّا، وهما آخر ما ألَّف، الأول هو (دانتي والإسلام)، وميزة هذا الكتاب أنه لم يبحث في التأثر الشكليّ للإسلام في دانتي، بل قدم رؤية دقيقة، إذ قال: (إن الفلسفة الإسلامية وتحديدًا الفارابي كان لهما تأثير كبير في تشكيل فكرة العالم الآخر عند دانتي أليغيري)، وهذا فرق هائل، فمعنى كلامه: أن دانتي متأثر بالفارابي في تصوره للعالم الآخر.

أما كتابه الآخر –وهو موضوعنا لهذا اليوم– فميزة هذا الكتاب أنه يعتمد القرآن الكريم واحدًا من مصادر السيرة، وهذا الأمر نادر، فهو يعود للقرآن الكريم في تدوين السيرة.

ومن القضايا اللافتة في هذا الكتاب أنه تعامل مع سورة الروم مثلا، وتناول حادثة شق الصدر. أشار أيضا في كتابه إلى أنه يجب أن لا نكتفي بكتب

السيرة التقليدية؛ لأن كثيرا ممّن كتبوا السيرة وترجموها اعتمدوا على كتب السيرة فقط، ولكنه يرى أنه: لكي نكتب سيرة النبي ﷺ يجب أن نعتمد أولا على القرآن الكريم، ثم كتب السيرة، ثم كتب المغازي، ثم سائر الكتب.

ومن قضايا هذا الكتاب أيضا أنه يتحدث عن العلاقة بين الرسول الكريم ﷺ، والإمام عليّ عليه السلام، ويضع لذلك سياقًا خاصًّا، وهو أيضا يتحدث عن أثر أسرة النبي ﷺ، أو ما يسمى في الثقافة الإماميّة بـ(آل بيته الكرام)، فقد كان عنده نوع من التركيز على هذا الجانب.

ومن مميزات هذا الكتاب أن مؤلفه –البروفيسور كامبانيني– نظر إلى السيرة النبوية على أنّها معطى من المعطيات، وحاول أن يقدم هذا المعطى على وفق الأدوات التي بين يديه، وهذا الأمر ليس قليلًا، وخصوصًا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن المؤلف هو مستشرقٌ إيطاليٌّ غيرُ مسلم، يشتغل على التاريخ، فقد اعتدنا أن نجد المؤرخين الغربيين يبحثون عن كل ما فيه تناقض بين السيرة من جهة، والعلم أو التاريخ أو القواعد العامة المتعارف عليها من جهة أخرى. ولكن كامبانيني لم يفعل هذا، بل تعامل مع السيرة من خلال النصوص الإسلامية، وعدَّ هذه المعطيات –في نهاية الأمر– يمكن أن تكون صحيحة، فهو يقدّم أحداث السيرة –كقصة الراهب بحيرى مثلا– بوصفها معطًى تاريخيًّا، ويناقشها على هذا الأساس، من دون أن يحاول البحث عن كلّ الثغرات التي يمكن أن تكون فيها.

كان لهذا الرجل دور مهمّ، هو من جهة والمستشرقة الأستاذة بيانكا ماريا سكارتشا أموريتي التي اشتغلت على دراسة الإسلام من جهة أخرى، فهذان الاثنان اشتغلا كثيرا جدًّا، وحاولا أن يقدّما صورة إيجابية وحقيقية

للإسلام والمسلمين، وكان لهما نشاط سياسيّ وثقافيّ أيضا في التعريف بالإسلام والمسلمين.

وأخيرا أشكر لكم حسن استماعكم، وأعتذر إن أطلتُ عليكم.

دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

ضمن فعاليات ملتقى السيرة
تقيم دار الرسول الاعظم ﷺ التابعة لقسم الشؤون الفكرية
و الثقافية في العتبة العباسية المقدسة ندوة علمية بعنوان :
المستشرق الايطالي ماسيمو كامبانيني قراءة في فكره ومشروعه
(كتاب محمد ﷺ رسول الاسلام ورسالته أنموذجا)
يحاضر فيها: الأستاذ الدكتور عقيل محمد المرعي
أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة سيينا في إيطاليا
يوم السبت الموافق ٢٠٢٣/٥/٦ الساعة العاشرة صباحاً
على قاعة الامام الحسن ﷺ في العتبة العباسية المقدسة

قاعة الإمام الحسن عليه السلام
الله اكبر

الندوة الثانية

- ميزان تصحيح السيرة (الجزء الثاني)

- المحاضر:
سماحة السيد محمد حسين العميدي

- ادارة الندوة:
أ.د. عادل نذير بيري الحساني

- عقدت الندوة يوم الجمعة
الموافق 2023/6/23م

ميزان تصحيح السيرة (الجزء الثاني)

تمهيد

تطرقنا في الجزء الأول من البحث إلى بيان أسس كتابة السيرة، وخلصنا إلى أنَّ مسائل السيرة تقع في مجموعتين؛ الأولى: هي السيرة الخاصّة والتي تمثل جملة من المواقف الشرعية ولا بُدَّ من أنْ تستند على مستندات شرعية أسوةً بسائر مسائل الفقه، والثانية: هي السيرة العامة والتي تمثل جملة من المواقف والمحكيات العامة التي وقعت في حياة النبي ﷺ مما يكفي في اثباتها الآليات التي يُثبت بها التاريخ العام.

وقلنا أيضاً إنَّ المستندات التي تعتمد لكتابة السيرة يمكن أنْ تكون قرآنية، أو روائية عن المعصوم عليه السلام، أو روائية عامة بشرط أنْ تكون موثوقة.

يزاد على ذلك محور رابع مهم؛ ويتمثل بالقواعد الاجتماعية والنفسية العامة، التي تحافظ على عدم تعارض الحكايات مع واقع الخصائص الاجتماعية المألوفة، أو الخصائص النفسية المتعلّقة بالشخصيات المختلفة التي يرد ذكرها في تلك السيرة. وسيتضح المراد من ذلك عند الحديث عن كلٍّ محور من تلك المحاور.

ومما يتقدم يظهر أنَّ مبادئ السيرة ترجع إلى محاور أربعة؛ قرآنية، روائية خاصة، روائية عامة، ومبادئ اجتماعية ونفسية.

المحور الأوَّل: الأصول القرآنية

ويقع الكلام في هذا المحور في مطلبين:

المطلب الأول: علاقة النص القرآني بالسيرة

لا يخفى أنَّ ارتباط القرآن بالسيرة وثيق جداً؛ من حيث ارتباط الرسالة بالذي نزلت عليه وهو النبي ﷺ، وهناك أكثر من علاقة تربط بينهما نذكر منها ثلاثاً:

العلاقة الأولى: زمان النزول

يُعدّ التسلسل الزماني عموداً فقرياً لنزول السور والآيات القرآنية، وهو يُعدّ كذلك في تسلسل أحداث السيرة، وهذا التسلسل مشترك بشكل متطابق بين نزول القرآن وشطر معتد به من حياة النبي ﷺ، بدءًا من المبعث النبوي الشريف وختاماً بحياته الشريفة ﷺ.

ومن المعلوم أنَّ تلك المدة قد استمرت ثلاثاً وعشرين سنة أو أربع وعشرين، تنشطر إلى مرحلتين مكّية ومدنية، وهنالك محطات بارزة في هذه المسيرة ارتبطت فيها الأحداث بين نزول آيات معينة من القرآن مع وقوع بعض الحوادث في حياته ﷺ.

ومن ذلك – على سبيل التمثيل – معركة بدر الكبرى، التي وقعت في السنة الثانية للهجرة، فهي من جهة السيرة تمثل حدثاً مهماً، ومفصلاً فارقاً في حياته ﷺ، ومن جهة القرآن فقد نزلت فيه آيات كريمة تتحدث عن بعض مجريات

هذه المعركة، فيمكن أنْ يمثل النصّ القرآني كاشفاً مهماً عن تلك الواقعة، وشارحاً وافياً من حيث البيان بأجوائها، وباعتبار صدق القرآن لصدق قائله وهو الله (سبحانه وتعالى) يكون معياراً مهماً في الكشف عن مرويات السيرة التي تتحدث عن هذه الواقعة.

وهكذا يمكن إيجاد محطات زمنية معينة في المرحلة المكية والمرحلة المدنية، فتوضع تلك المحطات في خط سير أحداث السيرة لضبط المدد الزمنية على هذا الخط، واستخراج النصوص القرآنية المقابلة لهذه الأحداث لجعلها حاكمة على ما روي عنها، لتصحيح تلك الروايات وقبول الصحيح منها وردّ غير الصحيح.

العلاقة الثانية: المناسبات

اتفق المفسّرون على أنَّ جملة من الآيات قد نزلت في مناسبة معينة، وإنْ اختلفوا في قيمة معرفة تلك المناسبات في الكشف عن تفسير الآيات، والمشهور قبول قرينة المناسبات في الكشف عن معاني الآيات.

و اختلفوا في جهة ثانية وهي صلاحية تلك المناسبات لتخصيص مضامين الآيات وما جاء فيها من أحكام، والصحيح هو عدم صلاحيتها للتقييد، فإنَّ خصوصية المورد لا تخصص الوارد، وهذا موضوع أصولي لا مجال لتناوله هنا، وهو – على كل حال – لا يؤثر على غرضنا في هذا المقام.

ومعرفة المناسبات يساهم في فهم بعض الوقائع التي حدثت في حياة النبي ﷺ، سواء كانت تتعلق بنزول بعض الأحكام من حيث ملاحظة بعض الارتباطات الاجتماعية الخاصّة بتلك الأحكام، أم من حيث أنّها تكشف عن

تطور المجتمع الإسلامي بتطور التشريعات التي نزلت في القرآن.

أو كانت تتعلق بحوادث عامة مرَّ بها المجتمع الإسلامي؛ فإنَّ المناسبات القرآنية لم تقع حصراً في شأن الأحكام الشرعية، بل يمكن أنْ نجد مناسبات متنوعة تتعلّق بشأن شخصية النبي ﷺ أو المجتمع أو ببعض الأفراد خاصّة.

العلاقة الثالثة: المضمون

والمقصود بالمضمون هنا هو ما كان عاماً لا يتعلق بزمن معيّن كما هو شأن العلاقة الأولى، ولا مناسبة معينة كما هو شأن العلاقة الثانية.

والمضامين العامة تمثل مبادئ عامة تتعلق بطبائع المجتمعات وخصائصها، وطبائع الأفراد وخصائصها النفسية، وهذه المبادئ أو المضامين لا تتعلّق بالمجتمع الإسلامي في حياة النبي ﷺ فحسب، بل يمكن أنْ تتعلّق بالمجتمع البشري عامة، وبناءً عليه يمكن الاستفادة مما حكاه القرآن عن الأمم السالفة والحضارات الغابرة والمجتمعات الماضية، سواء كانت في جوانبها الصالحة أو جوانبها غير الصالحة، لاستخراج الدروس والعبر في كيفية تعامل تلك المجتمعات مع بعث الرسل والأنبياء إليهم، وتصنيف فئات منهم من حيث إيمانهم وجحودهم بما جاء به الرسل، وتصنيف آخر يتعلق بالآليات التي كان يتصدى بها المناوئون للدين المحاربون للرسل والمعارضون للأنبياء.

هذا فضلاً عن استخراج جملة من الخصائص الاجتماعية والفردية التي تخصّ المجتمع الإسلامي ومجتمع المشركين والكفار في زمن النبي ﷺ، وخصائصه الشخصية الشريفة ﷺ، وخصائص بعض رموز الإيمان ورموز

الشرك والعصيان، وخصائص المنافقين وملامح حركتهم داخل المجتمع الإسلامي في العهد المكي والمدني، وغير ذلك مما زخرت بها الآيات الشريفة.

والفائدة المتعينة من معرفة تلك المضامين أو المبادئ أنْ تكون معايير لفحص ما روي في السيرة العطرة للنبي ﷺ، فتكون هي القواعد المقررة للمحور الرابع الآتي، الذي يستند إلى المبادئ الاجتماعية والنفسية في تصحيح ما روي في السيرة، وستأتي الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن ذلك المحور.

والذي ذكرناه هنا هو جعل المضامين القرآنية مصدراً واضحاً وبيّناً لاستخراج بعض تلك الخصائص الاجتماعية والنفسية، من حيث إنّها يمكن أنْ تكون محل توافق وقبول في مختلف الجهات المذهبية داخل المجتمع المسلم، بعد تسليمهم بما جاء في الكتاب العزيز.

هذا هو ملخص الكلام عن المحور الخاصّ بالقرآن في مطلبه الأوَّل من حيث معرفة العلاقات بين النصّ القرآني ومرويات السيرة.

المطلب الثَّاني: شروط الاستفادة من تلك العلاقات

إنَّ العلاقات التي مرَّ الحديث عنها – في المطلب الأوَّل المتقدم – تتوقف على معرفة خاصّة يجب أنْ تتوفر من أجل الاستفادة منها في السيرة، فهي ليست متاحة لكلِّ أحد أنْ يأخذ بها ويوظفها في السيرة من غير أنْ تكون له معرفة خاصّة بشؤونها المختلفة.

وقد يقع الخلط والتخبط في نفس هذه الأصول القرآنية لدى غير الباحث

المتخصص، فيضطرب عنده الميزان، وهو الذي سيلقي بآثاره على نفس السيرة المحكية، ويزيدها اضطراباً وتشويهاً، وعندئذٍ لا يفشل في تصحيح ما روي في السيرة فحسب، بل يساهم في وضع ما يخالف الواقع القرآني لبعض الأحداث.

ولا ينبغي أنْ يخطر في بالنا أنّ الذين وضعوا السيرة في الزمن الأوَّل كانوا بعيدين عن النصّ القرآني أو كانوا جاهلين به، ومع ذلك فلم تغنهم معرفتهم في محاكمة الروايات ورواية ما هو مقبول منها، واهمال ما هو مخالف لشريعة القرآن ومبادئه.

والذي حصل أنّهم قد غفلوا – أو تغافلوا – عن الأخذ بمجموع ما نصّ عليه القرآن أو أشار إليه، فأخذوا بطرفٍ من القرآن وغضّوا الطرف عن طرفٍ آخر منه.

فعلى سبيل التمثيل نقول: إنّ من أهم الطبقات الاجتماعية التي كانت تحيط بالنبي ﷺ هي طبقة الصحابة، وقد نزل في القرآن جملة من الآيات التي تتعلّق بهم، من حيث المدح أو الذم، ومن حيث الثناء أو العتاب أو التبكيت بحسب مختلف المناسبات وظروفها.

وليس من الإنصاف الأخذ بما جاء في هذه الفئة من مدحٍ وثناءٍ وجعله هو الميزان لتصحيح ما صدر منهم وروي عنهم، فيكون ذلك تطرفاً في الإفراط بما روي في شأنهم، كما أنّه ليس من الإنصاف الأخذ بما جاء عنهم من ذمٍ أو عتاب، وجعله هو الميزان، فيكون ذلك تطرفاً في جانب التفريط.

بل الصحيح السليم هو الأخذ بهما معاً، كلٌّ في شأنه أو في مناسبته أو في

ظرفه، بحسب ما تفيده الآيات الشريفة.

ومن آفات هذا الباب أيضاً التسليم بما جاء في بعض التفاسير من غير فحص أو تدقيق فيه، والغفلة عن أنَّ بعض المفسّرين كان يراعي ظروفاً معينة تفرضها نفس السلطات التي تحكمت في كتابة السيرة بل التاريخ الإسلامي عامّة بما يخدم مصالحها ومواقفها، بخاصّة مع وجود الاعتراض المتوجه إليها، والصراع الذي نشأ مبكراً داخل المجتمع حول بعض المسائل العقائدية أو السياسية أو السلوكية العامّة والخاصّة.

وعلى كل حال فإنّ من مبادئ المنهج العلمي الصحيح ملاحظة جميع ما حكاه القرآن عن الفئات الاجتماعية أو عن بعض الأفراد بعنوانها أو بأسمائها بعين الاعتبار، واستنباط ما يمكن أنْ يكون متوازناً في هذا الشأن من غير اهمال أو اغماض عن بعض أطراف القضية التي نريد استنباطها من القرآن.

وبناءً على ما تقدم ورعايةً له يكون لكل واحد من تلك العلاقات التي تقدم ذكرها – الزمانية والمناسبات والمضامين – قواعد معينة يجب مراعاتها ومعرفتها من أجل أنْ يستقيم الميزان الذي نحاكم به ما روي في السيرة، وتلك القواعد هي ما يأتي:

القاعدة الأوَّلى: مراعاة تسلسل نزول السور والآيات

لا خلاف في أنَّ القرآن قد نزل نجوماً متدرجاً في مدة زمنية محددة، تبدأ ببدء البعثة النبوية المباركة وتنتهي بوفاة النبي ﷺ وتوقف نزول الوحي القرآني.

ومن ثم فإنّ هذه السورة وتلك الآيات لها سياق يتقدم فيها بعضها على بعض، ومن البديهي أنْ تكون الآيات المكيّة تتحدث عن شؤون المجتمع المكي بمختلف أطيافه، وهكذا هي الآيات المدنية.

ومعرفة ما تقدم من الآيات وما تأخر مفيد جداً في متابعة التسلسل الزمني لأحداث السيرة، والعكس صحيح أيضاً، فإنّ معرفة أحداث السيرة التي ثبتت وقائعها في زمنٍ معين ومحدد من حيث السنوات والأشهر يفيد في معرفة بعض ما نزل من القرآن من حيث إنّه نزل في مكّة أو في المدينة.

فهذه العلاقة الزمانية بين تسلسل آيات القرآن وتسلسل أحداث السيرة ذو فائدة متبادلة بين التفسير وبين السيرة .

وهنا يواجه الباحث أوَّل معضلة على الطريق، فإنّ القرآن لم يدوّن بحسب النزول، ليتابع الباحث سوره وآياته بحسب ذلك النزول، بل دُوّن بحسب ترتيب معين اختاره من دوّن القرآن لحيثيات هو رآها ورجّحها، فقدم – بعد سورة الفاتحة – بعض السوّر التي ثبت أنّها مدنية، وأخَّر بعض السور التي ثبت أنّها مكيّة بخاصة القصار منها فجعلها في آخر المصحف.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ الروايات التي رويت عن ترتيب السوّر القرآنية مع تعددها وتنوعها فإنَّ فيها اختلافاً معتدًا به من حيث حكاية ذلك الترتيب.

والمطلوب هو النظر في تلك الروايات واختيار تسلسل معيّن يكون هو المقياس في محاكمة ما روي في السيرة من حيث المحافظة على التسلسل الزمني

للأحداث، وهذا النظر يتطلب إحصاء تلك الروايات أولاً، ثم الترجيح بينها ببعض المرجحات المقبولة، ثم اعتماد جدول معين لترتيب السور.

وهنا ينبغي الالتفات إلى أنّ هذا التسلسل للنزول لا يمكن أنْ يكون حتميًا وقاطعًا، لعدم وجود دليل حاسم في هذه المسألة، بل هو يبقى على كل حال جدولا تقريبيًا وغير حاسم، ولكنّه يؤخذ به من باب أنّه أرجح الأقوال.

والحديث في هذا الشأن ذو شجون ولا يمكن الحديث عنه أكثر من ذلك في هذا البحث الموجز[1].

القاعدة الثانية: تعيين المناسبات

إنّ معرفة مناسبة النزول يمكن أنْ يساهم بشكل جيد في الربط بين النصّ القرآني وبين أحداث السيرة، ولكنَّ هذه المعرفة – كمعرفة تسلسل النزول السابقة – يشوبها بعض الصعوبة أيضاً.

والسبب في ذلك أنّ أسباب النزول هي أيضاً قد وصلت إلينا من طريق الروايات، وقد تختلف الروايات حول سبب نزول بعض الآيات، وقد روى المفسّرون الكثير منها، وينبغي هنا – كمرحلة متقدمة لمحاكمة ما روي في السيرة – التحقق من صحّة ما روي في النزول، وترجيح ما يمكن ترجيحه منها بعد الإحاطة بها وجمعها كلٌّ بحسب الآيات الخاصّة بها.

١– تعرضنا للروايات التي رويت عن تسلسل نزول السور القرآنية بشيء من التفصيل ورجّحنا بعض ما روي في هذا الشأن وجعلناه في أحد ملاحق الجزء الثاني من تفسير العميد، وهو الجدول الثالث فيه، واعتمدناه في ذلك التفسير في معرفة سياق النزول، فمن شاء يراجعه هناك.

ومن ذلك – وعلى سبيل التمثيل – ما روي في مسألة الإفك الذي نزلت فيه بعض الآيات، فقد روي أنّها نزل بخصوص حادثة تعرضت لها عائشة زوج النبي ﷺ، بينما روي في جانب آخر أنّها نزلت في قضية تخصّ مارية القبطية زوج النبي ﷺ، وكلا الأمرين يُعد من أحداث السيرة المتميزة، ولا يمكن الاستفادة من النصّ القرآني فيهما إلا بعد حسم ما روي في مناسبتها.

القاعدة الثالثة: المطلق والمقيد، والعام والخاص

إنّ العلاقة الثالثة – التي تعتمد على ما جاء في الآيات الشريفة من المضامين في الخصائص الاجتماعية والنفسية – جاءت مبثوثة في النصّ القرآني الكريم، ولا توجد في موضع خاصّ منه للأخذ بذلك الموضع دون الرجوع إلى سائر السور والآيات.

ومن هنا جاء الاتفاق على أنّ في القرآن مطلقًا ومقيدًا وعامًا وخاصًا، وعدم معرفة هذه الأصول القرآنية قد يؤدي إلى التخبط أيضاً، من حيث الأخذ بطرفٍ من القرآن دون طرف.

فمن ذهب إلى أنّ النبي ﷺ قد كان – وحاشاه – على الوثنية قبل البعثة النبوية قد يكون قد استند إلى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧)﴾، وهو يغفل عن أنّ الله تعالى قد خاطبه في الآيات الأولى التي نزلت عليه بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ فلم يعين له اسم الربّ الذي نسبه إليه فدلَّ ذلك على معرفته ﷺ بذلك الربّ وأنّه لم يكن بحاجة إلى تشخيصه وتعريفه له.

وعليه فلا بُدَّ من الأخذ بالنصَّ القرآني كاملاً في استنباط تلك المبادئ الاجتماعية والفردية منه.

ثمرة الكلام في هذا المحور

لا بُدَّ من اعتماد تفاسير معينة وجعلها مستندات يستخرج منها القواعد الثلاث المتقدمة، ويمكن أنْ يكون السبيل إلى هذا إحدى الطرائق الثلاثة:

الطريقة الأولى: أنْ تقوم الجهة التي تنوي إعادة كتابة السيرة، أو تنقيح ما كتب فيها بتهيئة تفسير خاصّ بمهمتها تلك؛ يشتمل على المسائل الخاصّة التي لها علاقة بكتابة السيرة النبوية المباركة.

ولكنْ يلاحظ على هذه الطريقة انها تؤدي إلى تداخل الاختصاصات، وتشابه المهمات التي تتبناها الجهات البحثية المتعددة مع اختلاف عناوينها، فالأفضل أنْ توكل هذه المهمة إلى جهة متخصصة بالشأن القرآني، ويبقى على الجهة المشرفة على كتابة السيرة، من باحثين ومؤسسات، تنقيح ما تصدره المؤسسات القرآنية وتقريبه إلى ما يخدم غايتهم والغرض الذي يريدون الوصول إليه.

الطريقة الثانية: التعاون والتنسيق مع الجهات والمؤسسات القرآنية المعتمدة، كمجمع القرآن التابع للعتبة العباسية المباركة، فتقوم بتهيئة النصوص القرآنية الخاصّة بالسيرة، واستنباطها من مضانّها المعتمدة والمتفق عليها بين الطرفين، ، وفق فصول وأبواب مطلوبة عملياً في كتابة السيرة.

الطريقة الثالثة: اعتماد تفاسير بعينها، واعتبارها مستندات خاصّة بتلك المهمة، دون التورط بمراجعة عشرات التفاسير التي كتبت عبر القرون، الذي يتطلب جهداً معتدًّا به، ويكون خارجاً عن تخصص الجهة المعنية بكتابة السيرة.

والتفاسير التي نقترحها لهذا الشأن أربعة، تمثل خلاصة الآراء والأقوال التفسيرية مع ملاحظة ما اشتملت عليه من تنقيح وتهذيب ما جاء في التفاسير السابقة، والاعتماد على المنهج العلمي الموزون في ذلك، فإنّ هؤلاء المفسّرين الأفذاذ قد بلغوا مراتب علمية متفردة، جعلتهم لائقين بتلك المهمة الثقيلة والخطيرة.

وهذه التفاسير هي تفسير (آلاءُ الرَّحْمن) للعَلّامَة الجَليل والمُوسوعيّ الشهير محمد جواد البَلاغِيّ (رِضْوَانُ الله عَلَيْه)، وتفسير (البَيَان) لسَيّدِ الفُقَهَاءِ والمُجْتَهدين السَيّد الخُوئِي (قُدّسَ سرّه)، وتفسير (المِيزَان) لآخر الفَلاسِفَةِ والمُتَكلّمين العَلّامَة الطَباطَبائِي (طَابَ ثَراه)، وتفسير (مَواهِبِ الرَّحْمن) لآيةِ اللهِ العُظْمَى السَيّد عَبْدِ الأعَلى السَبْزَوَاري (قُدّسَ سِرّه).

هذا مجمل الكلام في المحور الأول، وهو عن الأصول القرآنية وعلاقتها بكتابة السيرة.

المحور الثاني: الروايات الشرعيّة

إنَّ السيرة الشخصية يمكن أنْ تُحكى عبر أشكال ثلاثة:

الشكل الأول: أنْ تكون حكاية سردية عن الحوادث التي جَرتْ ومرَّت على تلك الشخصية، يحكي فيها صاحب السيرة ذلك عن نفسه مباشرة، عبر وثائق حسيّة؛ بصريّة أو سمعيّة أو خطيّة، أو عبر روايات منقولة عنه، وهذا النمط يُمثلُ المذكرات الشخصية التي تخرج من الشخص نفسه.

الشكل الثاني: أنْ تُحكى السيرة من قبل شخص آخر غير صاحب السيرة، ممن واكب وعاصر تلك الشخصية، ومن ثم فهو يعتمد على نقل وقائع حسيّة حدثت أمامه، فيحكي ما رأى وما سمع من أحداث، وهذا النمط يكون أقرب إلى جو المذكرات الشخصية التي تحكي حوادث لا تتعلق بكاتب المذكرات، بل بشخصية أو شخصيات محورية كان يعاصرها أو يعاشرها.

وهذا النمط يمثل نقلاً مباشراً، وحكاية عن الوقائع عبر واسطة واحدة، وهو كما نراه في بعض الوثائقيات المعاصرة التي تحكي عن حوادث شخصية يرويها وزراء أو سفراء أو مساعدون أو مقربون عن شخصيات سياسية محورية، كبعض الملوك والرؤساء والقادة.

ولا حاجة بعدئذٍ عند المتلقي للأخذ بتلك الرواية إلا أنْ يعتقد بوثاقة هذا الراوي الشخصي، وعدم تطرق الاشتباه له، أو عدم وجود مصالح معينة قد تدعوه إلى تزييف الحقائق أو طمس معالمها أو الزيادة عليها بما يخدم تلك المصالح.

الشكل الثالث: أنْ يكون نقل تلك الحكاية بعد زمن معتد به من زمن تلك

الحوادث والوقائع، يحكيها جماعة من الناس لم يعاصروا تلك الأحداث ولم يعيشوها، ولم يسمعوها مروياتها من صاحب السيرة نفسه، ولا من المعاصرين له، وإنّما وصلت إليهم عبر وسائط معينة.

هذا هي الأنماط والأشكال التي تخصّ كتابة السيرة.

وفي خصوص السيرة النبوية المباركة، فمن المعروف أنَّ الكتابة قد مُنعتْ في الزمن الذي تلا وفاة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، ثُمَّ سمح بها بعد ذلك بقرن من الزمان أو أكثر، ولهذا نجد أنَّ حكاية السيرة النبوية قد اعتمدت على مرويات جاءت بواسطة واحدة، بل أكثر من واسطة في أغلب الأحيان.

ومن هنا صار لزاماً تمحيص تلك الروايات وتنقيحها وفق أصول معينة وقواعد علمية في نقد الرواية وتوثيقها، وصارت السيرة بحاجة إلى علوم الدراية والرجال والحديث، لنقد السند والبحث عن سلامته.

وبهذا تكون مسائل الدراية وعلوم الرجال من مبادئ السيرة ومن علومها.

نعم؛ يمكن أنْ لا يكون المطلوب في كتابة السيرة التدقيق في الروايات بالدرجة المطلوبة نفسها في الفقه، سواء كان ذلك من جهة السند أو المتن والمضمون.

أمّا من جهة السند فإنَّ الدواعي لوضع الروايات المكذوبة في السيرة أقل من الدواعي للوضع في الفقه، فإنَّ التنوع الفقهي داخل المذهب الواحد قد يكون سبباً رئيساً للوضع في الفقه، بينما يضعف هذا الداعي في السيرة، من

حيث اجتماع أهل المذهب الواحد في مشتركات تتعلّق بالسيرة، ويستثنى من ذلك موردان:

المورد الأوَّل: أنْ يتعمد بعض الرواة وبسبب رغبتهم في رواية سيرة متكاملة للنبي ﷺ أنْ يستوردوا بعض الأقوال المشهورة عند المخالفين لهم، حينما لا يجدون ما يقابلها في مروياتهم الخاصّة ببعض الأحداث والمواقف.

ومن هنا يمكن أنْ تتسرب بعض المرويات عند الجمهور إلى كتب الإمامية (أعزهم الله تعالى)، وهذه المرويات تكون على صنفين؛ فمنها ما يكون عاماً لا يُظنُّ بوضعها عند الجمهور لأنّها لا تستدعي ذلك، ومنها ما يكون خاصّا يُظنُّ فيه الوضع؛ لأنّها تتعلّق بمواقف وشخصيات قد يحرص بعض الرواة على تشكيل بعض الأحداث بما يوافق رأيهم فيها.

المورد الثاني: هو الذي ينشأ من آراء الغلاة في كلِّ مذهب من المذاهب، وهم الذين يحالون إضافة بعض الزيادة على الأحداث أو تكييفها بحسب نظرتهم إلى بعض الشخصيات، فيتعمدون الوضع لتحقيق ذلك الغرض عندهم.

وهذا المورد قد يتشابه مع ما يروى عن مقام بعض الشخصيات من الكرامات الإلهية التي حباها بهم، فيكون بين رواية الحقيقة عنهم والتي قد تكون متميزة بنحو من التميز وبين المغالاة في شأنهم خيط رفيع يفصل بين الحقيقة والوهم، وهذا يحتاج إلى تدقيق شديد، وتأنٍ في التمييز بينهما، وعدم التسرع لردّها، وعدم التسرع في قبولها، وهذا يعتمد على مهارة الباحث واستيعابه

للظروف المختلفة التي نشأت فيها تلك الأجواء، التي جنح بعضها إلى المغالاة، بينما جنح بعضها إلى الاستهانة ببعض المقامات الخاصّة بأولياء الله تعالى.

هذا فيما يخصُّ السند.

أمّا المتن والمضمون التي تحمله تلك الروايات فالقليل منه يمكن أنْ يحمل معنى شرعياً يحتاج إلى تدقيق في ثبوته، فمن المعلوم أنَّ بعض الأحكام الشرعية قد تتأثر بحرف أو حرفين ينقلب فيها الحكم من الحرمة إلى الوجوب أو العكس.

أمّا في السيرة العامة فهذا لا يقع إلا نادراً، كما يحصل عادة في نقل كلام أو حوار أو خطاب، فإنّ بعض التفاوت في النصّ المنقول مغفور ومقبول، فلا ينبغي التدقيق في ذلك، أو رفض المرويات بحجة اختلاف النصّ المنقول عنه.

وعلى كل حال ينبغي الاستناد في تلك المرويات إلى الكتب المعتبرة، كالكتب الأربعة (الكافي ومن لا يحضره الفقيه والتهذيب والاستبصار)، وإلى شروحاتها المعروفة المقبولة عند الأوساط العلمية المتخصصة في هذا الشأن.

المحور الثالث: الروايات التاريخية

يجد الباحث في السيرة النبوية المباركة أنّها قد رويت في عدة كتب بدءًا من القرن الثاني الهجري إلى عصرنا الحالي، وهي تعد من المصادر الأساسية لكتابة السيرة، ولا يمكن تجاهلها بأَيِّ حالٍ من الأحوال؛ رغم ما فيها من ملاحظات ومناقشات ومقبولات ومرفوضات.

والمنهج العلمي الصحيح يقتضي إحصاءها والتعرف الى خصائصها ووضع تقييم أولي عام لها، والترجيح بينها بحسب بعض المرجحات.

فكلُّ ما كان تأليفه قريباً من عصر النبي ﷺ فهو يحظى بترجيح التقدم على غيره.

وكلُّ ما كان شاملاً وموسوعياً في تناول شتى جوانب السيرة يقدم على ما كان خاصّا بجانب من جوانبها – كالمغازي مثلاً – وفي مقابل ذلك يكون المصدر التاريخي الخاصّ مقدماً على غيره في تلك المواضيع الخاصّة.

وكلُّ ما كان كاتبه محايداً – نوعاً ما – فهو يتقدم على ما كان كاتبه منتمياً للسلطة الحاكمة، ويعمل في بعض دوائرها أو له مصالح معروفة معها، أو عُرف عنه مماالاته لها وطلب رضاها.

وهذا يمكن أنْ يظهر بسهولة في كيفية تناوله لوصف الأحداث والشخصيات المعاصرة له، أو التي اشتهر عنها صورة معينة، كالذي اشتهر عن الحجاج مثلاً، فإذا جاء كاتب وحاول أنْ يضفي على تلك الشخصية ملامح غريبة ومواقف لا تنسجم مع الملامح المشهورة لها، فهذا كاشف بكلِّ تأكيد على تحيّز الكاتب إلى تلك الجهة لبعض الأسباب التي تدعوه إلى ذلك.

ومن ذلك توهين بعض الأمور العظيمة، أو محاولة التخفيف من وقعها للتخفيف من ردود الأفعال تجاهها، مثل رمي الكعبة بالمنجنيق، وحرق ستائرها وجدرانها، الذي قامت به أكثر من مرة بعض السلطات الحاكمة آنذاك.

وعلى كل حال ينبغي أنْ يضع أهل الخبرة بتلك المصادر التاريخية قواعد في ترجيح المرويات والمنقولات فيها، ومن ذلك:

الأول: ترجيح ما تعدد نقله على ما تفرد به بعض الرواة، ويستثنى من ذلك

أنْ يكون تعدد النقل جاء من جماعة اجتمعوا على غرض واحد مريب في حرصهم على ترويج ذلك النقل، بينما يكون ما ينقله بعض الأفراد له وثاقة خاصّة بسبب الاطمئنان إلى مصدره الذي يروي عنه وعدم وجود ما يجعله يحرّف روايته تحصيلاً لبعض المنافع أو المميزات، أو لجهله، أو لغفلته، أو لتساهله في الأمر.

الثاني: ترجيح المرويات التي تقترن بما يؤيدها أو ما يتوافق معها، كبعض النصوص القرآنية، أو الروايات الشرعية، أو الفهم العرفي العام للخصائص الاجتماعية النفسية التي سنتحدث عنها.

هذا ما يمكن أنْ نذكره هنا، وتعيين تلك المرجحات لا يكفي فيه التنظير الذي يمكن أنْ يكون بعيدًا عن أرض الواقع، بل الصحيح أنْ يتمَّ وضع المرجحات بعد إحصاء الكتب التاريخية التي تعرضت لرواية السيرة النبوية المباركة، وبيان خصائصها من حيث زمن تأليفها، وشأن كتّابها، وعلاقتهم بالسلطات، وأيضاً التمييز بين ما كان متناً منها مستقلاً في نقله، وبين ما كان شرحاً أو إعادة وتلخيصاً لكتاب متقدم سابق عليه، وهكذا يمكن بعد مطالعتها وضع قواعد الترجيح بينها.

نعم؛ ينبغي عدم الغفلة عمّا تقدم في الجزء الأول من أنّ معيار قبول الروايات التاريخية يجب أنْ يتميز ببعض المرونة في مقابل معيار قبول الروايات الشرعية، وقد تقدم بيان الوجه في ذلك.

المحور الرَّابع: العوامل الاجتماعية والنفسية

إنَّ المجتمعات البشرية لها الخصائص العامة المشتركة نفسها، التي يمكن من خلال فهمها فهم كيفية تعاملها مع شأن الدين وبعث الرسل والأنبياء.

وهكذا هو الحال على مستوى البناء الشخصي والنفسي للأفراد، فإنَّ للإنسان عوامل شخصية متشابهة ومشتركة بين الناس في كيفية التعامل مع شأن الدين وبعث الرسل والأنبياء.

ومعرفة هذين الأمرين؛ أَيْ: العوامل الاجتماعية والنفسية، يسهل كثيراً على الباحثين تقصي الحقائق فيما روي عن السيرة النبوية المباركة، وفي مقابل ذلك فإنَّ بعض الخائضين في هذا المجال يتعمدون أو يغفلون مراعاة هذا الجانب من البحث، ويتعاملون مع الوقائع والأحداث وكأنها قد حدثت مع مجتمع لا يعيش على الأرض، ولا يشبه باقي المجتمعات البشرية في خصائصه وشؤونه.

وقد يكون منشأ ذلك أحد أمور أربعة:

المنشأ الأول: نحو من العاطفة الجياشة تجاه بعض الشخصيات والأحداث تميل بالإنسان إلى إضفاء هالة تحيط بكلِّ ذلك، لترتقي بالأحداث عن الأرض، وعن أهل الأرض.

وهذا وإنْ كان صحيحاً في خصوص بعض الأشخاص وبعض المواقف، لأنَّ للدين أثرًا عظيمًا على النفوس، ومعادته له أيضاً أثر عظيم على بعض النفوس ولكن من جهة سلبية من حيث عظمة ما يصفونه ويتخذونه من مواقف تجاه الدين.

أقول: إنْ هذا وإنْ كان صحيحاً على نحو تحققه الخاصّ، ولكن تعميمه وجعله نمطاً عاماً شائعا هو الغير صحيح، سواء في جانب الإيجاب أو في جانب السلب.

والبحث العلمي يقتضي التعامل بموضوعية وواقعية مع الشخصيات والمواقف والأحداث، وإعطاء لكل مقامه وشأنه الثابت له في الواقع وما حباه الله به، من غير تدخل منا في ذلك.

المنشأ الثاني: الخوف من أنْ يكون في حكاية الواقع الذي جرى في العهد الأول للإسلام يفتح الباب على الجرأة لنقد بعض ما جرى من بعض شخصيات ورموز ذلك العصر – من غير المعصومين (عَلَيْهِم السَّلَام) – فيكون في سدِّ باب تمحيص الأحداث سلامة من ذلك.

المنشأ الثالث: إنَّ نقد ما روي في السيرة قد يرتبط بعضه بمواقف شخصيات هي محل خلاف بين المسلمين، ولهذا تخشى بعض الأطراف إن فتح باب نقد مرويات السيرة قد يوظفه المخالفون لهم في مسائل عقائدية مهمة، تمثل أصولاً في الاختلاف.

فيكون في سدّ باب النقد والتمحيص منعٌ لمثل ذلك التوظيف الذي قد يتطرق إلى توهين بعض المسائل العقائدية التي يراها هذا الطرف أنّها مهمة ولا يمكن التنازل عنها بأَيّ حال من الأحوال.

المنشأ الرابع: يتمثل في الوضع السياسي القائم في كل زمان عبر القرون المتعاقبة، فإنَّ بعض أحداث السيرة وإن كانت قد مضت إلا أنّها – كما تمثل امتداداً لبعض المسائل العقائدية – تمثل امتداداً لأوضاع سياسية، بني الحاضر منها على الماضي منها.

ولا شك أنّ أهل السياسة – الذي يكونون عادة متسلطين على التعليم والإعلام – لا يفسحون المجال لمثل هذه الأبحاث؛ خشية من نتائجها وما يترتب عليها.

والحديث في هذه الجانب وإنْ كان ذا شجون أيضاً، لكننا نكتفي بهذه الإشارات المجملة ولا حاجة للتفصيل فيها.

وأقول: إنّ القرآن الكريم قد بيّن وبشكل مكثف في مواضع عديدة من السور أنّ الأمم قد تشترك في سنن فيما يخصُّ تفاعلها مع شأن الدين وأهله.

وعلى هذا تظهر الحكمة مما قصّه القرآن من قصص الأمم السالفة، فهو لم يكن في صدد سرد الحكايات والأنباء الماضية من أجل تمضية الوقت والتسلي كما يفعله القصاصون في المنتديات، وإنّما قصّها من أجل العبرة والاعتبار.

قال تعالى في سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾،

ومسألة توارد السنن المتماثلة على الأمم من الأمور المسلمة الواضحة وقد جاءت فيها الكثير من الآيات والروايات، ولا حاجة لإطالة الكلام حولها.

وأمّا قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ((١٣٤)﴾، فهو لا ينفي وجود المشتركات والسنن، وإنما ينفي تأثير ما تكسبه بعض الأمم من الوزر والآثام على غيرها، فهو نظير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

وما تقدم من كلام عن النوازع الاجتماعية يكون هو الكلام عن النوازع الفردية والشخصية والنفسية، ومن هنا خاطب القرآن النفس البشرية بخطاب واحد، وما ذلك إلا لتماثلها وتشابهها في جوانبها المتعددة، قال تعالى في سورة الانفطار: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)﴾.

إذا ما تبين كلُّ ذلك فينبغي أنْ توضع بعض القوانين العامة التي تخصّ الشأن الاجتماعي والنفسي لتكون أساساً ومعياراً لمحاكمة مرويات السيرة.

ومن ذلك تقسيم المجتمع إلى فئاته المعروفة بالنسبة إلى شأن الدين؛ وهم فئة المؤمنين وفئة الكافرين، وفئة المنافقين الذي يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر. وبيان الخصائص التي تحدث عنها القرآن عن كلِّ فئة منها.

ومن ذلك أيضاً تقسيم المجتمع إلى فئات معروفة في الجوانب الأخرى من الحياة – غير جانب الدين – كالتجار والكسبة والفقراء، وكذوي

الشأن والمغمورين، وذوي السلطة والمقهورين.

ومن ذلك بيان الفئات الاجتماعية في المجتمع الذي نزلت فيه الرسالة، أَيْ: في خصوص مجتمع مكة والمدينة، من السادة والعبيد، وقريش وغير قريش، وأهل الكتاب والأميين، وهكذا، مع بيان خصائص كل فئةٍ منهم كذلك، ليتمّ الاستفادة من ذلك حين المرور على ما يخصّهم في حكاية السيرة.

وأمّا الخصائص النفسية للأفراد فهي تنقسم على نوعين، خصائص تكون عامة في الإنسان، بغض النظر عن المجتمع الذي ينتمي إليه، من قبيل الشجاعة والجبن، والتواضع والكبر، والنبل والدناءة، والكرم والبخل، وأمثال ذلك مما هو معروف في علم الأخلاق وفي علم النفس العام.

وهناك خصائص نفسية خاصّة، وهي التي كان يتصف بها الناس داخل تلك المجتمع المكي والمدني، التي تتأثر بطبيعة البيئة والفئة التي ينتمي لها الفرد، والتي تكون خصائص فردية تكونت عند بعض الأفراد بسبب ظروف اجتماعية خاصّة كانوا قد مرّوا بها.

وعلى كل حال فلا يسعنا هنا أنّ نفصل الكلام حول تلك الخصائص أو نتطرق إلى تعيينها، بل غرضنا أنْ نشير إلى القواعد العامة لكتابة السيرة، ويُترك الكلام في تفاصيل ما تقدم إلى الجهات المتخصصة في كلِّ محور منها.

خلاصة الكلام

إنَّ كتابة السيرة تتوقف على تحصيل مبادئ أربعة، تساهم جميعها في أنْ تكون ميزانًا معتدلاً في تلك المهمة الشريفة والحساسية في الوقت نفسه، وتلك المبادئ هي:

الأول: المباحث القرآنية الخاصة بنزول القرآن، ومناسباته، وتفسيره.

الثاني: المباحث الروائية الخاصة بتنقيح سند الروايات بحسب المناط المناسب للسيرة.

الثالث: المباحث الروائية العامة التي تتعلّق بالروايات التاريخية ومناط الترجيح بينها.

الرابع: المباحث الاجتماعية والنفسية العامة، التي يعتمد عليها انسجام الروايات مع بضعها.

وعليه فلا بُدَّ من الجهة التي تنوي الإشراف على كتابة السيرة إمّا تهيئة تلك المبادئ أولاً قبل الدخول في مثل هكذا مشروع، أو الاستعانة بجهات تحقيقية متخصصة في تلك الشؤون للاستفادة منها في تهيئة مثل تلك المبادئ الضرورية لكتابة السيرة، لتكون ميزاناً ومعياراً لتنقيح ما روي فيها، وترجيح ما هو أقرب إلى الواقع، وما يكون منسجماً مع بعضه.

والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

ضمن فعاليات ملتقى السيرة
تقيم دار الرسول الاعظم ﷺ التابعة لقسم الشؤون
الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة
ندوة علمية بعنوان:
ميزان تصحيح السيرة ٢
يحاضر فيها
سماحة السيد محمد حسين العميدي (دام توفيقه)
وفقنا الله وإياكم لخدمة نبينا الكريم ﷺ
daralrasul.com
الزمان
يوم الجمعة
الموافق ٢٠٢٣/٦/٢٣
الساعة ٩:٣٠ صباحا
المكان
العتبة العباسية المقدسة
قاعة
الإمام الحسن ﷺ

الله اكبر

٣ الندوة الثالثة

- المستشرقون والسيرة النبوية مسألة (أمية النبي ﷺ) أنموذجاً

- المحاضر:
الدكتور الشيخ ليث عبد الحسين العتابي

- ادارة الندوة:
أ.د.شعلان عبدعلي سلطان اليساري

- عقدت الندوة يوم الجمعة
الموافق2023/10/29م

المستشرقون وأسس قراءة التراث الإسلامي:

إن الأسباب الرئيسة في نظرة أوربا والعالم الغربي للإسلام والمسلمين ولتراثهم وتاريخهم؛ يتمثل في ثلاثة أسباب رئيسة هي:

أولاً: الاعتماد على التراث السني فقط:

قد اعتمد هؤلاء المستشرقون في قراءة الإسلام على التراث السني فقط بكل ما به من أخطاء وتحريفات ووضع.

ثانياً: الاعتماد على تراث العصور الوسطى:

فقد اعتمد المستشرقون في فهم ماهية الإسلام على تراث العصور الوسطى الذي بنته العقلية الصليبية وروجت له الكنيسة.

ثالثاً: الاعتماد على الكتابات غير الموضوعية لمجموعة من المستشرقين الأوائل:

نحن على علم بأنّ أكثر المستشرقين كتب لخدمة أهداف دينية واقتصادية واستعمارية خاصة بهم وموجهة ضد الإسلام. بل كانت أهداف أكثرهم مقصودة في سبيل الطعن والتشويه.

رابعاً: الاعتماد على ما رسمه الاستعمار من صور مشوهة عن الشرق:

أي: عن العرب، وعن الإسلام، وعن المسلمين.

اتّجاهات الكتابة في السيرة عند المستشرقين:

١ـ الاتّجاه الأول: الاتجاه غير المنصف:

وهو الاتجاه الحاقد وغير المنصف وصاحب الأحكام السابقة، والذي يكتب لغاية مبيّتة، هدفها تهديم الإسلام.

٢ـ الاتّجاه الثاني: الاتجاه العلمي البحت:

وهو الاتجاه العلمي الذي لا يخلو من الهفوات، وعدم الفهم، والذي يتعامل مع الأحداث تعاملاً مادياً بحتاً.

في معنى (الأمي) و(الأميين):

أسئلة مهمة حول لفظة (أمي)، فهل هي صفة؟ أو هي نسبة؟ أو لقب؟ أو غير ذلك.

إنّ لفظة (الأمي) وردت في القرآن الكريم (ست مرات)، مرتين بصيغة (أمَّي)، وأربع مرات بصيغة الجمع (أمَّيين).

استشراقياً، فإن المستشرقين عندما يتعرضون لكلمة (أميّ) فإنهم يفسرنها بما يرادف (الجهل)، أي: كل من لا يعرف القراءة والكتابة، أو معانٍ أخرى مقاربة لذلك عندهم، لذلك لا بدّ أن نتطرق لبعض آراء المستشرقين حولها :

١ـ المستشرق (شبرنجر) في كتابه (حياة وعقيدة محمد) المطبوع في برلين سنة (١٨٦١م) يقول: (بأن المراد من أمي هو وثني)[١].

١ – حياة و د، شبرنجر: ٢ : ٢٢٤.

كذلك ما ذهب اليه المستشرق (هورفيتز)، فهو يذهب إلى أن معنى (أمي) هو (وثني)[١].

٢ـ المستشرق (فنسنك) وفي مقال له نشره في مجلة (الشؤون الشرقية)[٢] يقول: إن كلمة (أميّ) تقال لوصف غير أهل الكتاب، وإنّ كلمة (أمي) مشتقة من أمة بمعنى شعب وثني (عرقي)، ويتوافق مع الكلمة العبرية (جوييم)[٣]. والجوييم: أي الأغيار أو الأغراب، يشار بها إلى الأمم غير اليهودية دون سواها بما يحمل المعنى من ذم وقدح، و(جوييم) تطلق على كل من ليس يهوديا تهويناً له.

لذلك يقول الكاتب المصري (عبد الرحمن بدوي)[٤]: (من السهل علينا تفنيد هذا الرأي الفاسد فـ(أمي) لا تعني وثنيا، والنبي ﷺ وصف نفسه بأنه نبي أمي وهو يجادل اليهود، ومن المستحيل، والمخالف للواقع أن يصف النبي ﷺ نفسه بأنّه (أمي) وهو يقصد كافراً، أو وثنياً؛ لأنّ بهذا المعنى تكون صفة أمي فيها نوع من الإهانة)[٥].

٣ـ المستشرق (فرانتس بول) في كتاب (حياة محمد، ترجمة ألمانية، هايدلبرغ، سنة ١٩٥٥م)، فهو يرى أنّ معنى (أمي): مشتقة من أمة بمعنى شعب، أي: أنها تعني غير ديني[٦].

٤ـ ما ذكره المستشرق (كارلو نللينو) والمنشور ضمن أعماله الكاملة، المجلد

١- ذكر ذلك في أثنين من كتبه هما: (الأسماء اليهودية ومشتقاتها في القرآن)، و(مباحث قرآنية).
٢- من صفحة (٢) إلى صفحة (١٩).
٣- وهذا ما ذكره في كتابه (العقيدة الإسلامية: ٦٠)، كمبردج، ١٩٣٢ م.
٤- عبد الرحمن بدوي (١٩١٧ - ٢٠٠٢م).
٥- دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي: ١٦.
٦- م، ن: ١٧.

الثاني، روما، سنة (١٩٤٠م) (ص٦٠ – ٦٥)، بأنّ (أمّيّ): هو ذلك اللفظ المنطبق على محمد، وكذلك (الأميين) حيث يؤيد الرأي القائل بأنّ أمي مشتقة من الأمة العربية... ويرى أن كلمة (أمي) تأخذ بعداً عرقياً أو متعصباً للقومية»[١].

الرد على ما تقدم من أقوال:

١ـ ما ذكر عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى:)هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ(أنّه قال: «كانوا يكتبون، ولكن لم يكن معهم كتاب من عند الله، ولا بعث إليهم رسول، فنسبهم الله إلى الأميين»[٢].

٢ـ قال جعفر بن محمد الصوفي: سألت أبا جعفر – الجواد – محمد بن علي الرضا عليه السلام، فقلت: يا بن رسول الله، لم سمّي النبي صلى الله عليه وآله (الأُمّيّ)؟ فقال: ما تقول الناس؟

قلت: يزعمون أنّه إنّما سمّي (الأمي) لأنّه لم يحسن أن يكتب.

فقال: كذبوا، عليهم لعنة الله، أنى ذلك والله يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، فكيف كان يعلمهم ما لا يُحسن؟! والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ ويكتب باثنين وسبعين – أو قال: بثلاثة وسبعين – لساناً وإنما سمي الأمي؛ لأنّه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله عز وجل: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[٣].

---

١ – م، ن: ١٧.
٢ – تفسير الميزان، الطباطبائي، تفسير سورة الجمعة، الآية: (٢).
٣ –أوائل المقالات المطبوع ضمن مصنفات الشيخ المفيد ٤: ١٣٥ – ١٣٧، وعلل الشرائع: ١ : ١٢٤، وبحار الأنوار: ١٦: ١٣٢.

٣ـ قال الراغب الأصفهاني: (... وقيل: سمي بذلك لنسبته إلى أم القرى)[١].

٤ـ قال القرطبي نقلاً عن ابن عباس: (الأميون: العرب كلهم، من كتب منهم ومن لم يكتب)[٢].

٥ـ وقال عبد الرحمن بدوي المراد بها هو: (عالمي، وصالح، وموجه لكل الأمم... بمعنى أصح النبي العالمي)[٣].

وذلك لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤].

٦ـ إن المراد بـ(الأميين) هم عوام الناس من البسطاء والمغلوبين على أمرهم، وذلك الذي وضحته السيّدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام لما وصفت العرب، وبالخصوص أهل مكة، وكيف كانت أحوالهم قبل الرسالة المحمدية إذ قالت: «وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون القد أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم....»[٥].

٧ـ قال الفرّاء: (الأمّيون: العرب الذين لم يكن لهم كتاب)[٦].

٨ـ البشر جميعاً: قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[٧].

٢ – المفردات: ٨٧.
٢– تفسير القرآن، القرطبي: ١٨ : ٩١.
٣– دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي: ١٨ – ١٩.
٤– سورة الجمعة، الآيتان: ٢ – ٣.
٥– مقطع من خطبة الزهراء 3.
٦– أوردَه الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أُمّي).
٧– سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

فالمراد أنه ﷺ قد أرسل للبشر فقط، وللبشر جميعاً، دون غيرهم.

وقفة مهمة:

السؤال المهم هو: هل كان النبي ﷺ وسلسلة آبائه منهم أو لا؟

الجواب: لا، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾[1].

والمراد بذلك: آخرين من أهل مكة لم يتابعوا قومهم على عبادة الأصنام، ولم يزاولوا عاداتهم، ولم يتأثروا بطباعهم، بل بقوا متمسكين بالدين الإبراهيمي الحنيف حتى وقت بعثة النبي محمد ﷺ وهم من ذرية نبي الله إبراهيم عليه السلام.

قال رسول الله ﷺ: «لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا، لم يدنسني بدنس الجاهلية»[2].

وإلى ذلك يشير الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: «فاستودعهم - أي الأنبياء - في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام، كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله عز وجل خلف، حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمد ﷺ فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعزّ الأرومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتجب منها أمناءه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمر لا ينال، فهو إمام من أتقى وبصيرة من اهتدى»[3].

١- سورة الجمعة، الآية: ٣.
٢- مجمع البيان، الطبرسي، سورة الأنعام، الآية: (٧٤)، والدر المنثور: ٥ : ٩٨.
٣- نهج البلاغة، الخطبة: (٩٣).

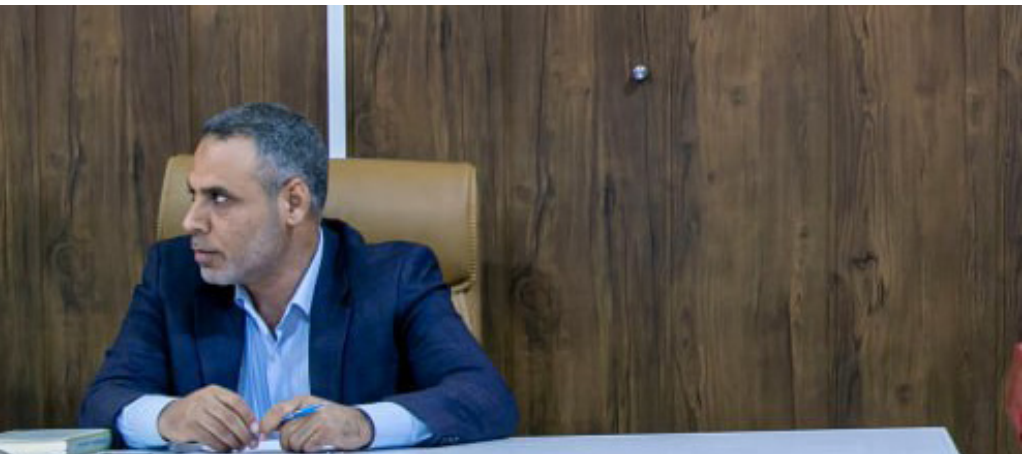

٤

الندوة الرابعة

البحث العلمي في السيرة النبوية

المحاضر:

أ.د. داود سلمان خلف الزبيدي

ادارة الندوة:

أ.د. ليث قابل الوائلي

عقدت الندوة يوم الجمعة

الموافق 2023/12/22م

السادة الأجلاء

المشايخ الكرام

أساتذتي زملائي الأفاضل

الجمع المبارك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد:

ورقتي البحثية الموسومة بـ ((البحث العلمي في السيرة النبوية المطهرة)) لا تهدف إلى عرض مباني البحث العلمي ومناهجه وخطواته؛ إذ إن البحث والكتابة في ذلك شغلا أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين، وتعلمناه -أكاديميين وحوزويين- في دراساتنا الأولية والعليا، ويتصدر الحضور عدد من الأساتذة الأجلاء، والزملاء، والأفاضل، ممن تمرّس في فنونه بحثا وتدريسا وكتابة.

ولكنّي أحاول هنا -مستثمرا هذه المناسبة العلمية- إثارة عدة ملاحظات فيما يخص البحث العلمي في التاريخ عامة، والسيرة النبوية المطهرة خاصة، علها تشكّل حافزا علميا لاستنهاض الهمة البحثية لدى الباحث المسلم والمنتمي جغرافيا وحضاريا للإسلام. الباحث الذي يعيش ماضيه وحاضره ومستقبله، الغيور على دينه وتراثه، الراصد للتحديات التي تهدد البلاد العربية والإسلامية، عقيدةٍ وأمةٍ

وأرضًا، وفي مقدمة تلك التحديات: التحدي الحضاري، والتحدي الذاتي، وكلاهما صراعان وجوديان.

الأول يستهدف علنا تفكيك العقيدة الإسلامية بحدودها الجغرافية مركزا وأطرافًا، ومِنْ عاش على جغرافيتها تأريخيا وانتمى إليها حضاريا، وذلك باستثمار كل ما فيه بذور الخلاف والاختلاف بين المسلمين من تراثهم، ذلك التراث الذي خلفه الأجداد، وكان بكله دون بعضه التراث الذي حرر أعداءهم. يقول هنري لوسيل الأستاذ في المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية: ((نحن في القرن العشرين لا نفهم من أين انبثقوا –يعني العرب المسلمين- وما الذي كوّن ازدهارهم وقدرهم؟، لقد كانوا مجهولين غير موجودين، وإذا بهم ..... يظهرون فجأة وينسابون بين الحضارتين (البيزنطية والفارسية). إن هم إلا بدو أميون، وهؤلاء الرُحّل المنعزلون تعلموا وتثقفوا، بقدرة تكيّف خارقة، بل سرعان ما أعادوا نشر الثقافتين نحو تخوم السند والبرتيه (الهند والأندلس)، فاكتسبت هذه الأصقاع ذاتها ثروة وعروبة ...)).

إن إثارة الصراعات والنزاعات القومية والمذهبية والسياسية، فضلا عن استثمار التقانات الحديثة كوسائل التواصل الاجتماعي وغيرها، يهدف إلى تفكيك المنظومة الاجتماعية المسلمة بأولى حلقاتها وهي الأسرة.

إنهم متيقنون أن من أطلق العنان للعرب المسلمين آنذاك هو الدين الإسلامي ليس إلا. وهذا ليس من مجال البحث هنا.

أما الثاني فهو التحدي الذاتي، إذ هو الاستمرار على نهج التخاصم والتنازع والمحاججة في بعض مما حوته مصنفات التراث الإسلامي، مما ولد تعصباً فكرياً ومذهبيا يغذي تلك الصراعات، والشواهد على ذلك كثيرة، وهي ليست من مجال البحث.

فالسعي هنا لإشعال جذوة الإسلام المحمدي في عقول الباحثين أكاديميا، باستعمال خطوات البحث العلمي؛ وصولا لقراءة ناقدة تنتشل الجيل الحالي والأجيال القادمة مما هي فيه من الحيرة عندما تقرأ تراثها وتوازنه مع مصنفات الآخرين من الغربيين، وممن نهج نهجهم ممن تتلمذ على أيديهم، إلا قلة من العقول المخلصة لانتمائها الديني والجغرافي، ممن وظفت مكتسباتها العلمية بأدوات المناهج الغربية للرد على أكاذيب المغرضين ممن يسعى لمحاربة الإسلام ومنجزه الحضاري.

إن مسميات الحداثة وما بعد الحداثة والعولمة والحرية والمعاصرة إنما هي مسميات ليس لنا منها إلا عنواناتها ولله الحمد، فقد عاصرنا نتائج ما صُدِّر إلينا من تلك المسميات، وليس هنا مجال القول فيها.

فالمطلوبُ –أحبتي- إعادةُ النظر في مرويات السيرة النبوية المطهرة، وإعادةُ بنائها اعتمادا على القرآن الكريم وما صح من المرويات التي لا تتقاطع مع النص القرآني والوصف الذي خصَّ به الرسول الكريم (ص) في القرآن، وما وصف به نفسه (ص).

فمن الواضحات التي لا لبس فيها أن الخطاب القرآني قدم رؤية صادقة في وصف الواقع الذي عاشته الجماعة المسلمة الأولى، تمثلت في عدد من الصور الخاصة بالمجتمع المكي والمدني أبان فترة الرسالة وما قبلها، وما ستؤول إليه النفس البشرية بعد وفاة الرسول (ص).

فقد كان التنوع القومي والعرقي والديني والطبقي واضحا كل الوضوح. كانت الآيات الكريمة واضحة الدلالات، راصدة لعديد من المواقف لمختلف النماذج الاجتماعية، أقربها وأبعدها، فضلا عن ذلك نجد أن الحديث الشريف ووقائع السيرة النبوية المتمثلة في سلوك الرسول (ص) جاءت متناغمة مع الوصف القرآني، مما يدعونا إلى التمسك بها، وعرض الحوادث والوقائع والمواقف عليها، بعيدا عن المرويات الحديثية والسيرية التي تبتعد عن العرض القرآني والسلوك النبوي، والتي وصل الحال بواضعيها ومتبنيها حدّ تقديس الزمن والأفراد وبشكل مطلقٍ، متغافلين عن الوصف القرآني الذي لا لبس فيه.

إن البحث العلمي يوجب إعادة قراءة تلك المرويات، والتحقق من شخوصها، بعيدا عن الوصف المسبق لتلك المرحلة.

وعلى الباحث أن يضع نصب عينيه أن الرواية الإسلامية المبكرة حمِلت الأصل القرآني (تفسيراً ورواية) الكثير من الروايات غيّر الصحيحة على أقل تقدير، وأصبحت فيما بعد أصلا ومتبنىً، دينياً كان أو مذهبياً أو مناطقياً أو قبلياً، والأسباب في ذلك معروفة، تكفي مراجعة مصنف الأستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي (نقد الرواية التأريخية) للاطلاع

عليها. فالمفيد هنا أن على الباحث التعامل مع الخبر على أنه نتاج ولاء أو عاطفة أو خيال.

في بواكير التدوين الإسلامي لم يكن التخصص في الكتابة التاريخية كما هو بعد القرن الثالث الهجري، إذ كانت السمة السائدة في عصر التدوين (الذي بدأ سنة ١٤٣ هـ وما بعدها) أن المصنفات كانت في الأدب واللغة والتفسير والسيرة والحديث والمغازي والتاريخ العام تحت محددات الاهتمام بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والمغازي. وضغطِ الاختلاطِ بالأقوام غير العربية مما أسهم في سعة أفق العالم المسلم. ومن يراجع كتاب الفهرست لابن النديم (ت بعد ٤٠٠ هـ) يجده حافلا بتلك المصنفات. وما ان حل القرن الرابع الهجري حتى تنوعت وتشعبت وتخصصت الكتابات في مختلف مناحي المعرفة الإسلامية وغيرها. فانتشرت مصنفات الفقه وعلوم الكلام والبراجم والمدن والبلدان والفلسفة، فضلا عن العلوم التطبيقية.

وما نود الإشارة إليه هنا هو أن تلك المصنفات تحوي العديد من أخبار السيرة النبوية المطهرة، تدويناً وتفسيراً وتحليلاً ونقداً، بعد أن ظهرت آثار الوضع والتحريف بوضوح، إذ انعكست آثارها على الوحدة الاجتماعية، ومن يطلع على مؤلفات الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) على سبيل المثال وبعيدا عن متبناه الفكري يجد أنه ناقش وعالج وطرح العديد من الآراء، واتخذ المواقف تجاه كثير من الوقائع والمرويات المتعلقة بالنبوة والجيل الأول ممن عاصر النبي محمد (ص) وعاش معه، ولسنا هنا في موضع العرض.

أيها الأحبة، إنّ الدين والعبادة المؤطرة بمحدداته

شيء، والطقوس العبادية شيء آخر، الدين انتماء للوحدانية المتفرّدة لله جل في علاه، والإيمان بالأنبياء والرسل (عليهم السلام)، أما الطّقوس العبادية فهي متغير بشري سلوكي، يتحول ويتشعب ويتجذر ويتطور بتلاحق الحقب الزمنية والخيال الجمعي. إنه سلوك ثقافي متنوع، لا ينتمي في أعمه الأغلب إلى الدين في كنهه. إنه وسيلة للوصول إلى أنجع السبل للتعبير عن الإيمان.

إن التطرف في هذا السلوك التعبدي أبعد سالكيه عن أصل الدين؛ مما مكّن الآخر المختلف والمريب من وصف الدين ونقده؛ مستندا إلى تلك الممارسات الطقوسية. إن تلك السلوكيات أمست بالتقادم أصولا في الانتماء والعبادة؛ لذا فإن مهمة الباحث الأكاديمي هنا مزدوجة، أولها تنقية ما يعالجه على أقل تقدير تحت أي عنوان، ومن ثم الرد على الأطروحة المخالفة.

على الباحث أن يضع في مقدمة اهتماماته أهمية المكان في دراساته في التاريخ عامة، وفي السيرة النبوية خاصة، فعلى سبيل المثال إن بعضا من الأماكن اكتسبت قدسية بفعل ارتباطها بحدث مهم:

مكة: ((بيت الله))

المدينة المنورة: ((مهاجر رسول الله (ص) ومقر دولته))

القدس: مسرى رسول الله (ص)

الشام: مقر التمرد على الخلافة

وغيرها من الأماكن .

تروي المصادر التاريخية أن الواقدي (ت٢٠٧ هـ) صاحب المغازي المطعون في روايته من أهل الحديث شوهد هو يحمل ركوة على ظهره، فسُئِل أين المسير؟ قال: إلى حنين لأرى الموقع والواقعة. كان ذلك عندما كتب عن غزوة حنين، إذ ذهب إلى موضع الغزوة لير ى هل يحتمل الموضع تلك الآلاف التي جاوزت العشرة آلاف مسلم مع ألفين ممن أسلم بعد فتح مكة ممن دخل الإسلام حديثاً، فضلاً عن أعداد المشركين الذين كانوا ألوفاً مؤلفة بحسب الروايات.

إن البحث في ذاكرة المكان -الجغرافيا التاريخية- يوصل الباحث إلى فهم أعمق يؤشر من خلاله مصداقية الروايات التاريخية.

على الباحث أن يعلم أن جل الاختلافات بين المسلمين والتي كانت سببا في ما اصطلحّ على تسميته بالفتن التي عصفت في بلاد المسلمين منذ بواكر تشكل الدولة الإسلامية في عقدها الثاني تحديداً كانت سياسية ولم تكن عقائدية، وظفت الدين والعقيدة لمتبنيات قبلية وسياسية، وطموحات فردية أسهمت في تمزيق وحدة المسلمين، والشواهد على ذلك كثيرة، وإلا كيف نفسر اختلاف الأمة على من يخلف نبيها (ص) بعد وفاته، وتصارعها وهو مسجى لم يدفن بعد، فضلاً عن مقتل ثلاثة من خلفاء الرسول (ص) على مدى ثلاثة عقود فقط من عصر الرسالة.

والسؤال: هل يتناسب ما تقدم مع حجية قدسية الجيل الأول؟ الإجابة مبروكة للباحث المحقق.

- القِصَصُ القرآني فيما يخص الأمم السالفة والقرون الخالية يمنح الباحث مسارات متعددة، تمكنه من دراسة الشخصية الإنسانية منفردة في حركتها، أو مجتمعة في محيطها، مؤطرة بالمؤشرات البيئية، بما يتيح له التحرر من هالة المقدس التي أحاطت به الرواية المتواترة عن الشخصية الفردية والمجتمع الإسلامي في عقوده الأولى.
- الرابط الموضوعي لآيات القرآن الكريم، وتكرار المقاصد والمعاني القرآنية في مواضع متعددة من السور يمنح الباحث صورة تكاملية للفعل التاريخي للإنسان على المكان عبر الزمان، ويمكّنه من تحليل السلوك الفردي والجمعي لعصر الرسالة.
- التعامل مع الكم الهائل من المرويات عبر قراءة نقدية تحاكي المكان الذي جرت عليه تلك الوقائع وزمن وقوعها، تحت عنوان: هل يتناسب ذلك الكم من المرويات مع الزمن الذي عاشه الرسول الكريم (ص) في حياته ودعوته ودولته؟
- إن تنوع المصنفات الإسلامية تماثلاً واختلافاً بعنواناتها بحسب الانتماء المذهبي والمناطقي في البلاد الإسلامية يشكل إثراءً معرفياً لاختلاف الرؤى بما يمكن الباحث المعاصر من الموازنة والتحليل والنقد، حال توافر الموضوعية والانتماء للقرآن. مثال ذلك: من وثق للسيرة في بلاد الشام، فتوثيقه وقراءاته لا تتطابق تماما مع من وثق لها في بلاد الأندلس، ولسنا هنا في موضع التفصيل.
- مقدمات المصنفين المسلمين في القرون الإسلامية

المتلاحقة اشتملت على العديد من المحددات والقواعد المنهجية لمؤلفاتهم، أخص منها هنا من كتب في التاريخ الإسلامي بما تضمنه من تفصيل في السيرة النبوية، إذ كان القرآن رائدهم في تناولهم للخلق وتواريخ الأنبياء والرسل والملوك والأمم ومساكنها وشاكلة الناس، على حد تعبير المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) في مقدمة كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر.

- تمثل إسقاطات الانتماء للمذهب المناطقي الجمعي في المجتمعات الإسلامية سببا مهما للباحث العلمي في التعامل بحذر شديد مع مادته العلمية الخاضعة للبحث؛ خشية الوقوع في مزلقات فكرية؛ لكون كثير من النصوص طوعت لمتبنيات مؤدلجة.

- إن البحث والكتابة في السيرة النبوية خاصة، والتاريخ عامة، بمنظار الحاضر مجردة من محدداتها المكانية والزمانية بعيدا عن روح الإيمان التي يتوجب على الباحث في التاريخ الإسلامي التحلي بها مع ضرورة تهذيب ما علق بالدين نفسه في تطبيقاته من تشويه بشري أسهم فيما بعد بوسمه بالتخلف والتحجر والقصور عن مواكبة العصر.

- الحذر كل الحذر من المصنفات التي أعيدت طباعتها بنسخ معاصرة، فقد أثبتت الدراسات والمطالعات أنها تعرضت للحذف والتحريف في كثير من نصوصها، بحسب توجيه الحاكميات والمؤسسات الدينية المؤدلجة، والشواهد في ذلك متعددة. فعلى الباحث هنا التأكد من مصادره (الناشر، دار النشر، المطبعة، سنة الطبع)، فضلا عن ذلك، فالحذر كل الحذر من

المصنفات المحملة على المواقع الإلكترونية أو المعاد بثها أو نشرها.

- الانتقائية من قبل الباحث المعاصر في اقتباس نصوص التفسير والسيرة، وتوظيفها بما يتناسب مع متطلبات خطة البحث لديه لا يمكنه ذلك من الوصول إلى حقائق التاريخ.

- على الباحث العلمي التعامل مع العديد من كتابات المستشرقين، ومن سار على نهجهم بإعادة قراءة مؤلفاتهم عن العلوم الإسلامية عامة، والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي خاصة، والرد على متبنياتهم. إن إعادة دراسة تلك المؤلفات اليوم تمثل حاجة مهمة؛ إذ إنها أُلفت في زمن التعصب الأعمى، فضلاً عن ذلك فإن مادتها كانت مرويات إسلامية غير دقيقة. إن المهمة شاقة ومركبة على الباحث هنا؛ إذ عليه غربلة تراثه، والرد على من استخدم ذلك التراث وسيلة للطعن بالقرآن، وبالرسول (ص)، وبالرسالة.

- تهمة الإرهاب ضد الإسلام والمسلمين، وتنمية التيارات المتعصبة تمثل تحدياً حضارياً أخضع الحاكميات الإسلامية لكثير من الضغوط، فعلى الباحث استخدام البحث والنقد العلمي للمصادر والتأويلات والاتهامات؛ للرد عليها بمنظار الحاضر.

- تظل الجهود البحثية التي تتعامل مع الدراسات الغربية المترجمة بحاجة إلى تدقيق وإعادة نظر؛ لأن المترجم لا يتعامل مع النص الأصلي غالبا بنصه، إذ يترجمه بروحه (روح النص)، مسقطاً انتماءاته الفكرية

أحياناٍ كثيرة؛ لذا فإن المترجم عندما يكون مشتغلا بالتأريخ متسلحا باللغة التي يتعامل معها يكون قادراٍ على نقل حقيقة النص المترجم.

- من المهم جداٍ أن لا تبقى الرسائل والأطاريح الجامعية حبيسة الرفوف في المكتبات وغيرها، بل يتوجب نشرها وبثها بكل الوسائل الممكنة؛ للإفادة منها.
- إن دار الرسول الأعظم (ص) مشكورة تبنت طباعة الرسائل والأطاريح الجامعية الخاصة بالسيرة النبوية، عبر مسابقات بنسخ متعددة، نحن الآن في نسختها الثانية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أ. د. داود سلمان خلف الزبيدي

ضمن فعاليات ملتقى السيرة
تقيم دار الرسول الاعظم ﷺ
التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة العباسية المقدسة
البحث العلمي في السيرة النبوية
يحاضر فيها
الأستاذ الدكتور داود سلمان خلف الزبيدي
وفقنا الله وإياكم لخدمة نبينا الكريم ﷺ
daralrasul.com
الزمان
يوم الجمعة
الموافق ٢٠٢٣/١٢/٢٢
الساعة ١٠:٠٠ صباحا
المكان
العتبة العباسية المقدسة
قاعة الإمام الحسن ؑ

البحث العلمي في السيرة النبوية
الزمان
المكان
العتبة العباسية المقدسة
قاعة الإمام الحسن ؑ
رئيس الجلسة
Chairman
الباحث

الباحث
Researchers